



تَطْرُفُ الرُّؤْيَا تَحْبُّهَا وَأَنْتَ فِي بِرْزَخِ النَّوْمِ؛ فَتُمْسِكُهَا حِينَ تَصْحُو لَا تَدْرِي كِيفَ تَفْعُلُ بِهَا:

أَمْسِكُهَا فِي نَفْسِي أَمْ أَبْتُهَا فَيُفْرَحُ لِفَرْحِي؟

قَدْ يَكُونُ؛ لَكَنَّ آخَرِينَ قَدْ يَغْضِبُونَ لِفَرْحِي! أَوْ قَدْ يَحْسُدُونِي حَتَّى وَإِنْ هُوَ (حُلم) لَيْسَ إِلَّا!

{قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَفْصِّنْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}

فَهَذِهِ أَوْلَى مَادَةٍ فِي دَسْتُورِ الرُّؤْيَا: أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَحْلَامَكَ وَرُؤَاكَ؛ فَلَيْسَ كُلُّ مَا تَحْلِمُ بِهِ يَصْلَحُ لِلنَّشَرِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ أَقْرَبُ النَّاسِ عَلَيْكَ فِي أَحْلَامِكَ وَطَمَوْحَاتِكَ؛ فَلَا تَتَسَرَّعَ فِي نَشْرِهَا لَأَنَّ الْكِيدَ قَدْ يَبْدأُ وَحُلْمُكَ مَا زَالَ فِي الْمَهْدِ.

وَلَكِنَّ! لَا تُبْطِلْ أَحْلَامَكَ، وَلَا تَكْفُّ عَنِ الرُّؤْيَا وَالْطَّمَوْحِ؛ بَلْ اعْرِفْ لِمَنْ تَبْتُهَا، وَادْخُلْ بِهَا الْحَاضِنَةَ حَتَّى تَرَاهَا تَتَحَقَّقُ لَكَ وَلِمَنْ تَرِي يَوْمًا.

فَإِنْ التَّبَسَّ عَلَيْكَ بَعْضُ حُلْمَكَ، وَغَمْضَتْ عَلَيْكَ بَعْضُ جَوَابَ رُؤْيَاكَ فَلَا بَأْسَ أَنْ تُشَارِرَ؛ وَلَكِنْ اعْرِفْ مَنْ تَسْأَلُ لَأَنَّهَا أَوْلَى مَحْطَةٍ تَصْلِهَا إِشَارَتَكَ؛ فَإِنْ أَحْسَنْ تَأْوِيلَهَا وَتَبْيَانَهَا لَكَ أَكْمَلْتَ، وَإِلَّا فَقَدْ يَقْلِبُهَا عَلَيْكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ (يَعْقُوبُ)!

{أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا} {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْأُقْوَهُ فِي غَيَّابَةِ الْجُبَّ}؛ مَا دَمْتَ صَاحِبَ طَمَوْحٍ وَأَحْلَامٍ

فإنك مُبْنَى، ولعل بلاءك يكون من أقرب الناس إليك؛ وإن تفاوت عداوتهم لك، لكنهم متفقون على تحطيمك، ولن يدخلوا جهاداً للنيل منك، ولا يهمهم في ذلك حقاً كان أو باطلًا؛ فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، ولا غاية لهم أسمى من تحطيم أحلامك ورؤاك **{وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}**؛ فإن وقع المحذور واستطاعوا النيل منك فاستعن بالله ولا تعجز، وتصبر فإن العاقبة لك؛ ولابد أن ترى أحلامك تتحقق!

فلا تدري لعل منحة تتستر لك في حنایا المحن {وَكَذَلِكَ مَكَّنَاهُ لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعَلَمْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}؛ فطريق الأحلام ليست قصيرة هينة، بل لها من أصعب الطرق وأشقاها، ولو أن كل من رأى رؤيا قام فوجدها بين يديه لبطل التوكل والأخذ بالأسباب؛ فلابد أن تبدأ الطريق نحو أحلامك وطموحاتك، وتشد المئزر لتغلب على الأهوال والمصاعب التي ستعرض طريقك عن اليمين والشمال!

وكن دائماً مستعداً نفسياً وجسدياً لشتى أنواع البلاء، فقد يأتيك بلاء من حيث تحسب أنها نعيم، فتقذف بنفسك في البحر - على خطورته - لتنجو، فأنت موقن أن ربك يهدي لك الأسباب لتنجو، بل لعل البلاء الجديد يكون مدرسة جديدة لك في طريق أحلامك؛ لكن عليك أن تنبه حيث ترمي بنفسك وترتمي وأنت في طريق الهرب من البلاء الذي يعصف بك؛ وليكن قلبك على الدوام متعلقاً بالله فهو الذي يرفع البلوى، فافزع إليه أول ما تفرع **{قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ}**، وقد يكشف الله للطاعنين فيك قطاع الطريق على أحلامك وطموحاتك، فيروا الأدلة على براءتك؛ لكنهم يستكرون ويصررون على النيل منك **{ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأُوا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ}**!

لا تنس أنك ما زلت في طريق أحلامك، لكنها مدرسة الإعداد لترقي فتالها؛ فهي سامية رفيعة، فتنتقل بين البلايا والمحن، لكنك أبداً تحفظ نفسك و هو يريك، ولا تضيع بوصلك أبداً، وتبقي في كل مكان تُقذف فيه على العهد الذي بدأت حياتك الخيرة به **{إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ أَبَائِي إِبْرَاهِيمَ فِي سَحَاقٍ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ}**. فلا تثبت على مبادئك وحسب؛ بل اعمل على تغيير الوسط الذي تكون فيه لأنها تدريب لك كيف تكون حينما ترقي وتبلغ أهدافك **{مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُنْهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا إِلَّا إِيَاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ}**؛ فصناعة المحيط الجيد يريحك ويساعدك على الصبر أكثر!

فقد يتهيأ لك من الأنصار الذي حولك من ينهضون معك ويعرفون قدرك، فتصير لهم مرجعاً في كل ما يعترضهم بعد أن عرفوا منك القوة الحسنة **{يُوسُفُ أَيَّهَا الصِّدِيقُ أَفْتَنَا}**.

هنا ستبدأ مصاديقتك بالارتفاع ويُشتهر صدقك بين الناس، فتخرج من البلاءات لتبدأ تتلمس الطريق إلى أحلامك من جديد؛ لكنك قد تكون في أرض غير أرضك، ومع أناس ليسوا من أهلك، لكنها أحلامك تتحقق وإن في البعيد والغربة **{وَقَالَ الْمَلِكُ اتَّوْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي}**؛ فلا تتردد في الأخذ بفرصة تعرض لك، بل أبداً طريق أحلامك وطموحاتك **{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلَيْمٌ}**؛ فهي التي تقربك من كل بعيد وتدنيك من أحبابك، لأنك أحسنت مع ربك، ولن يخزيك الله وأنت معه، وفي نهاية المحن تبدأ أنوار المحن تتألاً عليك **{وَكَذَلِكَ مَكَّنَاهُ لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ}**؛ فهي قاعدة ربانية وسنة كونية شرعية خالدة: **{وَلَا نُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}**؛ فقد أحسنت في بث أحلامك ورؤاك، وأحسنت في كل بلاء نزل بك تمهيداً لبلوغ أحلامك وتحقيق أمانك، ولم تتنازل عن هوبيتك؛ بل جهرت بها ودعوت من حولك إلى الحق، فكان لك مجتمع جديد في مهجرك من الأنصار، لتبدأ بينهم طريق الأحلام وتحقيق الطموحات وتنفيذ الرؤى!

وما مضى من أبواب وجدتها يوماً قد أغلقت في وجهك ستبدأ تفتح لك، فقد ملكت مفتاح النجاح، وأدركت التأهل للهادي طريق الأحلام، وسيأتيك كل من نال منك يوماً، ترميهم الحاجة نحوك **{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ**

مُنْكُرُونَ؛ وهم الذين كانوا يظنون فلاحهم ونجاحهم في الخلاص منك وتحطيمك، فيقوا في تعاستهم وازدادوا فاقةً وذلةً، فلما يأتونك وأنت في حال قد تلبس عليهم، فلا يعرفونك لواسع فضل الله عليك!

لكنك في مرتفات النزاهة والتقوى، فلا تنحط لدرجات الانتقام والتشفي وقد ارتقيت في درجات الصلاح، فلا تزيد على تربيتهم بحلم وأناة، ليعرفوك وقد أنكروك؛ ولكن!

لا تستعجل بما تراه عليهم من فاقة وذلة تحسبها فيئلة للحق، فطول الأمد في الباطل يطمس على البصيرة، وقد تجدهم وهم في أشد البلاء يزدادون افتراً وباطلاً {قَالُوا إِنْ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ}، فاكتمها وأكمل في تأديبهم وتربيتهم، ولا تشغل بهم عن تحقيق أحلامك {فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّلَا لَهُمْ}؛ فصبرك عليهم خير لك ولهم، فقد يرجعون إلى أنفسهم فيقفون للصدق معها ساعةً، ويعرفون ما سبق لهم في الظلم وقطع الطريق وتخريب الطموحات وسرقة الأحلام {فَلَمَّا اسْتَيَّسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيَا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخْدَعَكُمْ مَوْتِيَا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}.

ولا تأخذك الغربة فتغيب عن أرضك حيث بنت أحلامك، فسيبقى هناك في انتظارك من يؤمن بك وأحلامك، فإن كنتَ في شدة لتأخر أحلامك عليك فأحببتك الذين ينتظرونك في بلاءً أشدَّ؛ فهم بين ألم فرافقك وألم تأخر أحلامك وطموحاتك، لكنهم لم ييأسوا من روح الله وصبروا حتى ترجع إليهم وقد حققت ما تصبو إليه {يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَأسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَّئِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}.

وأما أولئك الظالمون فمصيرُهم أن يرجعوا إليك وأنت في عيائلك، فيعرفوا أنك ارتقيت فوقهم درجات بالصبر والإيمان، فنلتَ ما عجزوا عنه لأنهم ليسوا أهلاً له {قَالُوا تَالِلَهِ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}، فيعترفوا بالخطأ والقصير، وتبقي أنت على مبادئك منشغلًا بما ينفعك لأنك تقرب من تمام أحلامك وتحقق أهدافك {قَالَ لَا تَشْرِبَ عَيْنِكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.

إنه النصر الإلهي الموعود؛ انتصرتَ على مخاوفك وكل المصاعب في طريقك، وانتصرتَ على نفسك فتنزَّهتَ عن الانتقام لشخصك، فانتصرتَ أحلامك وتحقق رؤياك.

ولن يفرح أحد بنجاحك فرح أولئك الذين صبروا على فرافق وانتظروا نجاحك، فالأمل لم يخمد في نفوسهم يوماً في عودتك منتصراً إليهم؛ لم يطفئه إرجاف المرجفين ولا كلام المفترين ودعاوي المبطلين {أَلَمْ أَفْلَمْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

ستجتمع مع أحبابك في يوم نصرك؛ لتعلو بهم في فرح ينسفهم الآلام التي أكلت قلوبهم، وتنسى معهم ما مررت به من المحن والابتلاءات حتى خلصت لتحقيق أحلامك وإنجاز موعود الله لك {وَرَفَعَ أَبُوْيَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايِّي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًا}.

فيزول لهم والتعب وأنت ترى أحلامك حقيقةً، وأهدافك واقعاً بين يدي الناس؛ فهذا ما ندعو الناس إليه على بصيرة حتى يعيشوا أحلامهم، فهي وإن تأخرت فلحكمة يريدها الله لخير يريده لك أن تدركه ولسرّ عليك أن تفهمه، لكنها مهما تأخرت وحُجبت عنك فإنها ستتحقق ما دمتَ على إحسانك {حَتَّى إِذَا اسْتَيَّسَ الرُّسُلُ وَظَنَّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءُهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}.

لم يقصَ الله تعالى علينا قصة يوسف عليه السلام خبراً من أخبار المرسلين فحسب؛ بل كما هي قصص القرآن الكريم

جاءت للعبرة والموعظة، فختمَ رحلَةَ يوْسُفَ فِي عِيشِهِ الْحُلْمِ الَّذِي ابْتَدَأَ بِهِ حَيَاتَهُ طَفَلًا، حَتَّى تَحَقَّقَ لَهُ وَهُوَ فِي مَدَارِجِ الرَّجُولَةِ
وَالنَّبِيَّةِ بِقَوْلِهِ: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ}.

المصادر: